الفكر المتطرف في العراق دراسة تاريخية

ا.م.د.الاء نافع جاسم
جامعة بغداد / مركز احياء التراث العلمي العربي

المستخلص

يرتبط التطرّف بمنظومة تُغذي الارهاب وهو يدعو الى الانعزال والانغلاق ، وينافي المبادئ والقيم .ويؤثر على الجوانب الفكرية والسياسية والاقتصادية والتربوية والتعليمية والثقافية والدينية في المجتمع .

وظاهرة التطرّف مقابل الاعتدال ، ويرافقهُ الغلو ايّ التشدد ومجاوزة الحدّ ، وفضلا عن ذلك بان التطرّف لا يسمح للسلام والتسامح وانما يولد العنف والفوضى ، مما يساعد على افراز ظهور تنظيمات سياسية اسلامية متطرّفة تميل الى التشدد والمغالاة .

الكلمات المفتاحية : التطرّف ، العراق ، دراسة تاريخية

The extremist thought in Iraq is a historical study

Dr.Alaa Nafie Jassim
University of Baghdad / Center for the Revival scientific heritage
E.amail alaanafia66@gmail.com

Abstract

Extremism is linked to a system that feeds terrorism and calls for isolation and isolation, and avoids principles and values. It affects the intellectual, political, economic, educational, cultural, and religious aspects of society.

Extremism and moderation are accompanied by extremism, extremism and extremism. Moreover, extremism does not allow peace and tolerance, but generates violence and chaos, which helps to create the emergence of extremist Islamic political organizations that tend to be radical and excessive.

Keywords: extremism, Iraq, historical study

المقدمة

يُعد التطرف ظاهرة من ظواهر التي واكبت المسيرة البشرية ، ولذلك فهي لا تختص بدين من دون اخر او بعقيدة من دون اخرى ، وبقومية من دون قومية اخرى ، بل هي ظاهرة

يحلو لنا ان نصفها بانها صناعة بشرية او صناعة انسانية ، وان الدين او العقيدة او المذهب هم ليس منشا ذلك التطرّف .

وان فكر التطرّف مرتبط ارتباطا وثيقا بمنظومة معقدة وواسعة تغذي الارهاب ، والتطرّف وفق فكر ومنهج يدعو الى الانعزال والانغلاق بدعوة ان كل جديد هو كفر ومنافٍ للمبادئ والقيم والثوابت ، ولعل التطرّف الديني السياسي والذي لا يمكن انكار تواجدهِ في مجتمعاتنا فكرا وثقافة.

وان ظاهرة التطرّف لا ينحصر تاثيرها بالجانب الفكري فقط ، بل بالجوانب السياسية والاقتصادية والتربوية والتعليمية والثقافية والنفسية والدينية ، التي يتعرض لها المجتمع.

والدين الاسلامي دين وسط لا افراط فيهِ ولا تفريط ولا يعرف التطرف ولا الغلو بل هو دين السلام والسماحة واليسُر **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١]

وفضلا عما يتضمنهُ البحث من هذهِ المقدمة ، وخمسة محاور ، ومع خاتمة وهوامش ومصادر للبحث

اولا : معنى التطرّف والغلو لغةً واصطلاحا :

تطرّف ، يتطرّف ، تطرّفا ، فهو متطرف ، والمفعول مُتطرّف ، اي رأى خصاما في الشارع فتطرّف جانبا او ابتعد الى الطرّف او الجانب الاخر . قال الواقدي " ناقة طرفة كفرحة لا تثبت على مرعى واحد " ، وطرقت الناقة كفرح ، طرفا اذا " رعت اطراف المرعى ولم تختلط بالنوق كتطرّفت " ومن ذلك قولهِ تعالى ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾[٢]

والتطرّف اصطلاحا : بانهُ الغلو في عقيدة او فكر او مذهب او غيرهِ مما يختص بهِ جماعة او حزب [٣]

وكذلك هو مجاوزة حد الاعتدال [٤] ، فاذا جاوز الانسان وسط شيء الى احد طرفيه قيل لهُ : تطرف ف هذا الشيء او تطرّف في كذا ، اي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط [٥] .

والتطرّف من حيث هو مصطلح مُحدث يكون في الدين ، كما يكون في الفكر والسياسة ، والاخلاق والسلوك.[٦] .

وزيادةً الى ذلك ان التطرّف والتشدد علاقة اقتضاء وجوار ، بحيث يتحول التطرّف الى التشدد والعنف ، وبينهما تبادل وترابط في المعنى [٧] وعبر عن التطرف بعدة الفاظ منها : الغلو ، والتشدد .

ويستخدم التطرف في مقابل مفهوم الاعتدال من العدل والوسطية من الوسط ، وان مصطلح التطرف لم يرد في القران والسنة فان جذرهُ اللغوي استخدم مثل طرف وطرفي واطرافها.[٨]

وتعرف الوسطية لغةَ " بناء صحيح يدل على العدل والنصف" وهو اوسطهم حسبا اذ كان في واسط قومهِ وارفعهم محلا .[٩]

واما الغلو فهو يرافق التطرّف ومعناهُ لغةً : غلا في الدين والامر ،يَغلُو غَلوا : جاوز حَده ، وفي الحديث الشريف " اياكم والغُلو في الدين " اي التشددّ فيهِ ومجاوزة الحّد ،وحامل القران غيرُ الغالي فيهِ ، ولا الجافي عنهُ ، انما قال ذلك لان من ادابهِ واخلاقهِ التي امرَ بها القصد في الامور ، وخير الامور اوسطها .[١٠]

والغلو اصطلاحا : يقول ابن حجر " المبالغة في الشيء والتشديد فيهِ يتجاوز الحدّ " [١١]

وان تحديد المظهر من مظاهر الغلّو انما هو الى الشريعة فان الغلو تجاوز لحدودها فما لم تعلم ذلك الحدود فان المعيار سيكون مختلا [١٢]

والغلو هو المبالغة في الالتزام بالدين ، وليس خروجا عنهُ في الاصل ، بل هو نابع من الرغبة في الالتزام بهِ [١٣] وان التطرف الديني ، وهو يكون الغلو في اسلوب التدين لا الدين بقولهِ تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾(41)

ويقصد بها لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيهِ ، واصل الغلو في كل شيء مجاوزة حدهِ الذي هو حدّه ، يقال منهُ في الدين : قد غلا ، يغلو غلوا .[١٥]

وقد حذر الاسلام والانبياء من الغلو في الدين والتشدد فيه والافراط في اخذهِ ، فالله تعالى بين لنا المنهج الذي نتعامل بهِ وهو منهج الاعتدال فقال الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [١٦]

ويقول الشهرستاني " ان الاساس في ضلال الفِرق هو البعد عن الاعتدال اما بالإفراط واما بالتفريط " [١٧] لان الافراط هو التطرّف بالزيادة ، والتفريط تطرّف بالتنقيص [١٨].

وقد وصف التطرّف بالغلو ، والتشديد فجاء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تشددوا على انفسكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بتشييدهم على انفسهم ، وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات " (١٩)

ومن اوجه التطرّف يؤدي الى العنف والارهاب :

فالعنف لغويا: كلمة في اللغة من الجذر(ع ، ن ، ف) وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق بهِ ، وعَنف بهِ ، اخذهُ بشدة وقوة واعتنق : اخذ بعنف ،والتعنيف اللوم والتوبيخ والتقريع(٢٠)

ويتضمن العنف معاني عدة ومنها الشدة والقسوة وذلك يسمى عنيفا ، ومنهُ عنفوان الشيء اوله ويقال في عنفوان شبابهِ اي في قمة نشاطهِ .(٢١)

وقد جاءت بعض الاحاديث في السنة النبوية الشريفة لتقابل الرفق بالعنف فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف " (٢٢)

اما اصطلاحا : وهو السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والاكراه ، وهو عادةً سلوك بعيد عن التحضر والتمدن تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضرب والتقتيل للافراد والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره (٢٣).

اما الارهاب : فهو يعني الخوف والفزع وهو مصدر للفعل ارهب مشتق من الجذر " ر.هـ.ب" وتُشير المصادر اللغوية انّ رهِب بالكسر يرهِب ورَهبا ، ورهَبا بالتحريك ، اي خاف ، ورهب الشيء رهَبا ورهَبة : خافه . فالرهبة : هي الخوف والفزع وارهبهُ استدعى رهبته حتى رهبتهُ الناس (٢٤)

ويشمل الارهاب اشكال مختلفة " كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف " (٢٥) كما جاء في قولهِ تعالى ﴿ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ ﴾(٢٦) بمعنى بث الخوف والرعب والفزع .

ان صورة الارهابيين تدل على انهم مرضى نفسيون واصبحوا يتصدرون سرية ارهابية فانهم يجدون انفسهم ان يجدوا في المتخيّل الجهادي وسيلة لادراج هذيانهم في هذا العالم (٢٧)

ثانيا : الجذور التاريخية للتطرّف

ظهر التطرّف او الغلو منذُ ظهور حركة الخوارج مفردها خارجي ، هم اتباع اقدم الفرق الاسلامية [٢٨] ، ايّ ان من البدع التي وقعت في الاسلام فتنة الخوارج ، وكان مبداهم بسبب الدنيا وقد كان بذرة الخوارج هو " حرقوص بن زهير التميمي" احد القادة لدى الخوارج وهو الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم وعُرف باسم " المخدّج "و"ذي الحويصرة" وقد روي البخاري عن ابي سعيد الخدري : قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاهُ ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ، فقال : يارسول الله اعدل : فقال : " ومن يعدل اذا لم اعدل ، قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل : فقال عمر : يا رسول الله اذن لي فيهِ فاضرب عنقه ، فقال : دعه فان لهُ اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...ايتهم رجّل اسود احدد بعضديهِ مثل ثدي المراة ..." [٢٩]) ويقول الشهرستاني " كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمى خارجيا " [٣٠] ، ويرجع اصول هذهِ الحركة نتيجة للخلاف الذي حدّث بين الخليفة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن ابي سفيان ابان وقعة صفين في صفر عام ٣٧هـ ان يحتكما الى حكمين يعتمدان على القران ليحسما الخلاف الذي نشا عن مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وادى الى اقتتالهما [٣١] ،الا انّ فريقا واحدا من المحاربين ، معظمهم من قبيلة تميم ، عارضوا بعنف تحكيم الرجال في حكم الله ، وجاهروا بالاحتجاج قائلين " لا حكم الا الله " ثم تركوا الجيش وانسحبوا الى قرية حَروُرَاء غير بعيدة من الكوفة ، وقد سّموا الخوارج الاوائل " بالحروريّة "اي من هنا سموا بالخوارج لانهم خرجوا على الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ولم يرجعوا معهُ الى الكوفة واعتزلوا صفوفهُ [٣٢] وهذا كان اول خلاف وقع في الاسلام في اصول الدين ، وهو خلاف الخوارج.

وعلى الرغم من كثرة الثورات التي قام بها الخوارج ، وما ابدوه فيها من ضروب الشجاعة ، وبرغم ما انطوت عليه مبادئهم من دعوة الى العدل والحرية ، فقد عجزوا عن تحقيق اهدافهم ، واصبحوا هدفا للبطش والاضطهاد[٣٣]،وسرعان ما ظهرت مغالاتهم في التعصب بالأقوال المتطرفة والاعمال الارهابية ، وذلك باجماع كافة فرقهم على تكفير علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ، والخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، واصحاب الجمل والحكمين وكل من رضى بالتحكيم [٣٤] .

ويقول ابن حزم " ومن وافق الخوارج من انكار التحكيم وتكفير اصحاب الكبائر والقول بالخروج على ائمة الجور ، وان اصحاب الكبائر مخلّدون في النار وان الامامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، وان خالفهم فيما ذكرنا ، فليس خارجيا " [٣٥]

واجمعوا في الخروج على الامام الجائر وتكفير مرتكبي الكبائر انهُ يخلد في النار [٣٦] وان اتفاقهما على التكفير وضعهم في موقف العداء للجماعة الاسلامية برمتها[٣٧] وفضلا عن ذلك ان من ابرز مظاهر العنف والتطرّف عند الخوارج يتمثل في النهج التكفيري الذي استندوا اليهِ في تكفير الناس وقتلهم اثر ذلك ، وما كانوا يتمتعون بوحشية افعالهم بل وحشية افكارهم والسبب في ذلك يعود الى فهمهم القاصر للدين وتأويل النصوص الشرعية حسب المسبقات الذهنية والنفسية التي هي غالبا ما تتعارض مع النص الشرعي (٣٨) وقد ارتبط الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في معتقداتها الدينية وبالتكفير والتطرّف .

فلابد لنا ان نعرج على مصطلح التكفير :

الكفر في اللغة بمعنى التغطية والستر ، يُقال لليل كافر لأنه يستر الاشياء بظلمتهِ ، ويُقال للإنسان الكافر كافر ، لأنه ستر فطرتهِ وعقلهِ بالجهل .

واما الكفر اصطلاحا : هو انكار ما علم ضرورة انهُ من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، كإنكار وجود الصانع . ونبوتهِ عليهِ الصلاة والسلام ، وحرمة الزنا ونحو ذلك .

وينقسم الكفر على قسمين : الكفر الاكبر : وهو الكفر بأصل الايمان ، والكفر الاصغر : وهو الكفر بفروع الاسلام . [٣٩] .

ثالثا : اسباب التطرّف

١. الجهل ، وقلة الفقه في الدين ، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية ،فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى ، والقضايا المصيرية فيكثر منهم التخبط والخلط والاحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة [٤٠]

٢. الفقر وهو سبب في تغذية التطرّف الديني نتيجة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الذي يزيد من التباعد الاجتماعي بين البشر مما يخلق صراعات ظاهرة وكامنة بين المجتمعات وفي داخل المجتمع الواحد [٤١]

فضلا عن ذلك هناك اسباب لحدوث هذا التطرّف المتمثل :

١. التفكك الاسري والاجتماعي يُنشا طفل قاسيا وناقما على الناس لذا يتخذ من الانحراف وسيلة للثورة على مجتمعهِ وبيئتهِ وافتقاد التوافق مع النفس ومع الغير مما يجعلهم يمتازون بالتطرّف والغلو .

فضلا عن الاصدقاء الذين لهم دور لا يستهان بهِ في النزوع نحو العنف والارهاب والتطرّف فيكون تأثيرهم قوي عندما يكون المقابل ضعيف الشخصية .

وكذلك للاعلام دور اخر في تغذية فكر التطرّف للذي لا توجد عليهِ مراقبة من قبل ابويهِ ، لما تقدمه من برامج وافلام تنتهج منهج التطرّف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والاخلاقية او زرع الفتن واثارتها من خلال بعض البرامج او الافكار [٤٢]

٢. الاستبداد السياسي الذي يفسح مجال واسع امام الغلو والتطرّف من المغرر بهم دينيا او سياسيا او عقائديا فالتوجه للعنف الفكري والسلوكي يكون ناتج من احباط سياسي ، بسبب الياس من القدرة على التغيير السياسي والتمتع بالحريات في التغيير .[٤٣]

٣. الابتعاد عن معايير العدالة والعقلانية اي التمسك بالراي الواحد وعدم تقبل الراي الاخر ، والتي تجعل الفرد يرى الاخر على انهُ العدو او الخصم المخالف دائما .[٤٤]

٤. غياب الوعي : ان غيابّهُ في المجتمعات لاجل مواجهة التطرّف بكثير من الحكمة والعقلانية بعد الفهم العميق للظاهرة ، لان من الممكن ارتكاب اخطاء اضافية يؤدي الى زيادة حجم المشكلة لا الحد منها فلم يعد ممكنا مواجهة ظواهر التطرّف والتشدد والاحباط بذات الوسائل القديمة التي كان البعض يّصر على اللجوء اليها واثبتت التجربة العملية فشلها .

لذا لابد من التمييز عند المعاملة مع التطرّف الفكري والذي يقتصر على الافكار والقناعات والتوجهات وبين التطرّف الذي ينقل الى دائرة الممارسة المادية السلوكية العنيفة .

فان اتباع طريقة فتح قنوات الحوار لاقناع من يحمل فكرا متطرفا بان ابواب التأثير والاصلاح بالطرق السلمية بعيدا عن العنف واراقة الدماء متيسرة امامهُ وليست معلقة [٤٥]

رابعا : الافرازات التي نتجت من التطرّف

التطرّف والتعصب ظاهرة اجتماعية ونتيجة طبيعية وتكون في الغالب رد فعل لأسباب عرقية ودينية ومذهبية وجنسية ولون البشرة واقتصادية وثقافية ، وتأتي احيانا هذهِ الظاهرة نتيجة لقصر النظر وللفهم الساذج والسطحي للمعتقدات التي يدعو اليها من يمارسون التطرّف والتعصب بكل اشكالهِ ، وهذهِ الظاهرة تولدها الظروف الموضوعية المحيطة

وتنضجها الظروف الذاتية والسايكولوجية للشرائح الاجتماعية والافراد الذين يروجون لظاهرة التطرّف والتعصب ويمارسونها على ارض الواقع ، والذين هم ايضا من نتاج التحولات والتغيرات التي تحصل في المجتمع التي تؤدي الى رفض وعدم قبول الاخر ، والتعايش معهُ بسلام متساوين في الحقوق والواجبات .(٤٦)

ويرتبط عادةً التطرّف بالانغلاق ، والتعصب للراي ، ورفض الاخر وكراهيته وازدرائه وتسفيه آرائه وافكارهِ ، والمتطرف فردا كان امّ جماعة ينظر الى المجتمع نظرة سلبية سوداوية لا يؤمن بتعددية الآراء والافكار ووجهات النظر ، ويرفض الحوار مع الاخر او التعايش معهُ ومع افكاره ولا يبدي استعدادا لتغيير آرائه وقناعاتهِ وقد يصل بهِ الامر الى تخوين الاخرين وتكفيرهم دينيا او سياسيا وربما اباحة دمهم ، والتعصب حالة جاهلية لاوجود لها في الاسلام وهي طارئة على مجتمعنا ، وهو حالة بعيدة كل البعد عن هذا الدين واهله ، وان التعصب يبعد المسلم عن دينه الى متاهات الفرقة والجاهلية.(٤٧)

يزداد خطر التطرّف حين ينتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري الى طور الممارسة ، والتطور السلوكي الذي يعبر عن نفسه بأشكال مادية من اعمال قتل وتفجيرات وتصفيات باستخدام وسائل العنف المادي المختلفة لتحقيق بعض الاهداف ، وعادةً ما يكون التطرّف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاسا لتطرّف سابق في الفكر والقناعات والاعتقاد .(٤٨)

والتشدد او التطرّف موجود داخل كل مجتمع وحزب وجماعة لكن بمستويات نسبية ويوجد داخل كل حزب متشددين ومعتدلين ولكن يحدّث بينهم عدم التوافق ايّ لم تستطع هذه الاطراف التعايش مع بعضها البعض فان ذلك يفضي في كثير من الاحيان الى انشقاقات وانقسامات (٤٩)

ولا نحصر التطرّف بالجانب الديني فقط بل يوجد تطرّف سياسي وثقافي واجتماعي . الا ان التطرّف الديني هو الابرز على الساحة في الوقت الراهن .

وقد يكون هناك تكفير ديني فضلا عن وجود تكفير سياسي وعلماني ومثلما ان هناك توجهات اسلامية متطرّفة ترفض الاعتراف بالأخرين .(٥٠)

يظهر التطرّف والتعصب بكل اشكالهِ ويكون على اشدهُ في المجتمعات المتخلفة في مرحلة التحولات والتغيرات في شكل وطبيعة الانظمة السياسة والاجتماعية للانتقال من نظام سياسي معين الى نظام سياسي جديد ففي هذهِ الظروف تنضج الموضوعية والذاتية لان

ينطلق التطرّف والتعصب مصحوبا بالعنف ويكون هو الصوت الاعلى في المجتمع ، وعلى هامشهِ ينتشر الخوف والرعب وتنطلق الجريمة بكل انواعها ، ويشيع القتل الكيفي على الهوية بدوافع التعصب العرقي والديني والمذهبي واثار الانتقام وغيرها ، وتنشط الجريمة المنظمة لحماية وتعزيز المصالح الشخصية ، وتختفي لغة الحوار ، والتسامح ، والاعتدال على اساس الهوية الوطنية والولاء للوطن وحده .(٥١)

فانّ التطرّف حكرا على المجتمعات العربية والاسلامية فكل المجتمعات عانت او تعاني من اشكال مختلفة من التطرّف الديني والسياسي سواء في الفكر والمعتقد او في الممارسات والسلوك لكن الاسباب مقصودة وبفعل ضعف العالم العربي والاسلامي وسيطرة الاخرين على وسائل الاعلام وادوات التوجيه القادرة على تشكيل القناعات ثم التركيز على ما يُسمى بالتطرّف الديني في محاولة لإلصاق تهمة الارهاب بالمجتمعات الدينية ذاته .(٥٢)

والتطرّف بحد ذاتهِ هو عملية متشابكة وبالغة التعقيد ، وهو لا يسمح للسلام والتسامح ، وانما يولد العنف والفوضى ، فتتزعزع اسس السلام والتسامح على ارض الواقع دون ان يتوقف الخطاب الدّاعي للتطرّف وما تحملهُ من الحقد التهميش ، وهناك جماعات على ارض الواقع تساندها وتذهب في مساندتها الى رفض التعايش والتسامح . (٥٣)

ونتيجة لهذا التطرّف او الغلو حدثت افرازات ساعدت على ظهور تنظيمات سياسية اسلامية متطرّفة ، وهي عبارة عن مجموعة من الناس ينتظمون ضمن رؤى وسلوك معين ، يميلون الى التشدد والمغالاة في الممارسات والسلوك الديني والعنف والعدوانية ، وهذا العنف لا يتجزا من تكوين هذهِ الجماعات الدينية المتطرّفة ويعدونهُ وسيلتهم لتحقيق اهدافهم في المجتمع .

او عبارة عن تنظيمات اجتماعية ثقافية دينية معارضة تقوم على مقولات انقلابية بهدف قلب النظام السلطوي بطريقة راديكالية عنيفة لإقامة دولة على اساس ديني . اسلامي (٥٤).

ومن هذه التنظيمات التي ظهرت في العراق وهي تنظيمات القاعدة التي اسسها اسامة ابن لادن كان يروم بإفقار متطرفة ومغالاة في الدين والذي يعمل على توظيف الشباب وتمدهم بالمال والسلاح ليذهبوا الى الاسواق والجامعات والمساجد ليفجروا انفسهم فيها بين الابرياء لأغراضه العدوانية من خلال تساقطهم بتفجير انفسهم كما يفجرون الالاف من

المدنيين الذين سقطوا ضحايا لهذا المد المتطرّف ويدمرون مرافق الدولة والخدمات الحيوية لذا اصبح هذا المد يكلف الدولة خسائر فادحة بالبشر وماديا وان مجيئهم بالأفكار المتطرّفة نتيجة الفراغ الفكري والاعلامي الذي حصل بانشغال رجال الدين بالسياسة والمواقع الحكومية. (٥٥)

وقد امتازوا هؤلاء المتطرفين بالتوظيف الخاطئ لبعض الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة ، وقد اخذت تتسع بتوسع المذاهب والافكار كقولهِ تعالى " انما جزؤا الذين يحاربون الله ورسولهِ ويَسعون في الارض فسادا ان يُقتّلوا او يُصلبوا او تُقطع ايديهم وارجلهُم من خلافٍ او يُنفقوا من الارض ذلك لهم خزيُ في الدنيا ولهم في الاخرةِ عذابُ عظيمُ " (٥٦)

ويقول الامام الشافعي على ان ما يحقن بهِ الدم هو الايمان بالله ورسوله من خلال الآيات النازلة في المنافقين ، وقال في كتاب الام : " حقن الله الدماء ، ومنع الاموال الا بحقها بالأيمان بالله ورسولهِ مستدلا بحديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا ازل اقال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها فقد عصوا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله "(٥٧)

وان فهم التنظيمات المتطرفة للمصادر الشرعية كانت بعيدة عن الصواب وانما راجعة الى ظروف سياسية واقتصادية ونفسية كانت وراء العنف في هذهِ المجتمعات ، وهي بدورها كانت وراء توظيف النص الديني حسب الاهواء والرغبات حيث انهم لم ينطلقوا من خلفية علمية تحليلية ، وانما اغلبها كانت عبارة عن مواقف تجاه احداث معينة ، وهناك اياد ٍ وراءها اتخذت طابع العلن تارةً ، وبمسميات مختلفة ، وتارةً مارست دورها بطريقة غير معلنة للتقليل من امكانية اتهامها .(٥٨)

وان الاسباب التي ساعدت على وجود هذه التنظيمات في العراق بعد عام ٢٠٠٣م وهي " وجود الخلفية التنظيمية حيث وجود جماعة انصار الاسلام من جهة ، ومن جهة اخرى الارض المفتوحة وبقاء العراق لمدة ليست بقليلة من دون سيطرة على الاوضاع الامنية اعطى فرصة لقادة هذه الحركات التحرك بحرية اكثر " (٥٩)

وبعد ظهور هذه التنظيمات على الساحة فقد تم الاتصال بين منظمة ما تدعى " بالتوحيد والجهاد" وبين القاعدة لكي يشكلون قاعدة يعمل بها في العراق وخصوصا بعد الخسائر التي لحقت بهِ في الفلوجة .(٦٠)

وبهذا اصبح هذا التنظيم بسط نفوذهِ على العراق بعد تشكيل " مجلس شورى للمجاهدين " اعتبروهُ النواة لتأسيس م ايعرف " بالدولة الاسلامية " (٦١)

وقد كان ابرز حدّث قام بهِ تنظيم " الدولة الاسلامية " هو نزوح اعداد هائلة الى الموصل لبسط السيطرة عليها حيث قامت مجاميع بالتجحفل نحو الموصل عام ٢٠١٤م مما ادى الى انهيار امني كامل في مرافق المدينة وادى الى نزوح العشرات بل المئات من العوائل المختلفة دينيا ومذهبيا مع التنظيم .(٦٢)

وقد قاموا بفرض السيطرة بقوة الحديد والنار ، مع فرض تطبيق الشريعة الاسلامية طبقا لتصور منظري الدولة الاسلامية كما عدوا بعض الاديان الموجودة في المناطق التي اصبحت تحت سيطرتهم من اهل الكفر ومن ثم جوزوا استرقاق نسائهم واطفالهم وقتل رجالهم كما فعلوا مع " الازيديين " وفرض الاتاوات على السكان الذين بقوا في الموصل . (٦٣)

ومارسوا ايضا التوحش والرعب والذبح بشكل ممنهج ونشر صور ومشاهد جرائمه ، على تخريب وحرق الارث الحضاري في المكتبات والمتاحف من خلال سرقة وتمزيق المخطوطات التي تمثل الارث التاريخي للعراق والامة الاسلامية فضلا عن سرقة الاثار وتدمير القسم الاخر ، وذلك لطمس معالم الحضارة في العراق ، وكما سعى التنظيم الى سن مجموعة قوانين لتثبيت دولتهم .

وقد كان المبدأ السائد في فكر التنظيم هو التكفير مع جميع الطوائف الاسلامية ، وغير الاسلامية تُعد اعداءً وفق رؤية التنظيم ، ومن ثم يتم التعامل معهم على انهم كفرة وخارجون على الدين .(٦٤)

ومن اهم المفاهيم التي يؤكد عليها داعش هو حرب الابادة او جرائم القتل والتهجير ، وسفك الدماء ، وفرض الجزية وسبي النساء ، والتعدي على شرفهن وخطف الاطفال وتعذيب الاسرى.(٦٥)

وفضلا عن ذلك قام التنظيم الارهابي بتخريب المعالم الاثرية بالعراق وتحويلها الى ركام ، والاماكن الدينية وتشمل المراقد الدينية ومراقد الاولياء ، وذلك محاولة طمس الحضارة والتاريخ والثقافة ، وتدمير الارث الحضاري في هذهِ المنطقة لكي تكون منزوعة التاريخ والهدف من كل ذلك هو مسح اي ارتباط لأهالي هذهِ المنطقة بالتاريخ وجعلهم جماعات بدون هوية او انتماء وقد استهدف داعش اماكن دينية لمختلف الفرق الاسلامية ، وكذلك استهدفت

الكنائس والاديرة لدى المسيحين ، وتدميره للأضرحة الصوفية ، بالإضافة الى الحسينيات والجوامع والمدن الاثرية كمدينة الحضر ، علاوةً على المكتبات فقد تم حرق البعض منها ، وسرق البعض الاخر.

خامسا : نشر السلام ونبذ التطرّف والغلو

لأجل بناء ونشر السلام وازدهار الوسطية في المجتمعات التي تُساعد على نبذ التطرّف هو اعتمادهِ على الحوار القائم على حرية التعبير سبيلا للتفاهم بين التيارات الثقافية الموجودة فيها .

. فيتم ذلك عن طريق مساهمة جميع مؤسسات المجتمع في الجانب الوقائي سواء الحكومية او الاهلية او مؤسسات القطاع الخيري من خلال استراتيجية وطنية شاملة متعددة الجوانب والمراحل لتناسب جميع فئات المجتمع من ناحية العمر والجنس والمستوى التعليمي والمنطقة . لذا ان تتضافر الجهود لتحصين الشباب من الانحراف الفكري والجنائي . كما يجب تحسين الظروف الاقتصادية وزيادة مساحة المشاركة السياسية للشباب مما سيساعد في غرس المواطنة في نفوسهم وزيادة استشعارهم بالمسؤولية الاجتماعية والحرص على مجتمعهم والمحافظة على مقدرات[٦٦] .

و لا يمكن ايقاف تأثير التطرّف والارهاب الا بتسوية الوضع سياسيا وبشكل عادل ونهائي في المنطقة المضطربة ، لان التنظيمات المتطرّفة تنمو في فراغ سياسي ومناخ مضطرب .

وكذلك يجب علاج الناحية الايدلوجية فعقيدة التنظيم ومواقفهِ تحتاج الى متخصصين وعلماء متبحرين يناقشون مسوغات التكفير والقتل التي يعتمد عليها التنظيم ، . والعمل على بث الوعي الديني الذي يرتقي بروح الانسان عن طريق تقوية الايمان الذي يسمو بالنفس [٦٧]

. العمل على احتواء الشباب وتحصينهم من الانخراط للتطرّف من خلال الاهتمام بالتنشئة المبكرة والتي تقع على عاتق الاسرة والدولة فالأسرة هي الكفيلة بغرس القيم والفضائل الكريمة والآداب والاخلاقيات والعادات الاجتماعية التي تُدعم الفرد وتحثهُ على اداء دورهِ في الحياة ، وغرس مفاهيم حب الوطن والانتماء وترسيخ معاني الوطنية عند الابناء بالتضحية والدفاع عنهُ ، والعمل على توجيه طاقاتهم الى البرامج العلمية النافعة ، والدورات التدريبية

المفيدة ، وابعادهم عن رفاق السوء الذي ينجم عنهُ ارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات والانحراف الفكري .(٦٨)

. اما الدولة عليها الاهتمام بالتعليم من خلال نشر ثقافة السلم والاعتدال ومحاربة التطرّف العنيف وذلك عن طريق التعليم والبرامج التربوية يمكن توجيه الاجيال الى السّلم والاعتدال وتجنب الفتنة والتطرّف العنيف .لأجل اعداد افراد للمجتمع وتهذيب اخلاقهم وسلوكهم بما يحقق الامن والتنمية في كافة المجالات .

وكذلك ان يكون على عاتق الدولة علاج مشكلة بطالة الشباب وتوفير فرص العمل المناسبة لهم ، تستنهض هممهم وتستثمر طاقاتهم وتحفزهم على الاخلاص والاتقان وخلق مناخ للحوار على جميع المستويات الاسرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية لمشاركة مختلف فئات الشباب ، والاستماع الى آرائهم وافكارهم للتعرف على مشاكلهم بهدف توجيههم وتدريبهم وبناء الثقة في انفسهم .(٦٩)

. ادانة التطرّف في كل صورة واشكاله بوصفهِ لا يتفق مع القيم الدينية والانسانية ومعالجة جذورهِ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتصدي لها عبر برامج التنمية وحل النزاعات السياسية المزمنة وبالفكر والاقناع والموعظة الحسنة .

. العمل على تشجيع الحوار بين الاديان وابراز القيم والقواسم المشتركة بينها .

. نشر مبادئ وقيم التسامح وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الطوائف والمذاهب والاديان وكذلك نشر الافكار الصحيحة عن التسامح والتعايش والتعاذر والتساكن ، لتعزيز حصانة المواطن ضد التطرّف والانغلاق .

الخاتمة

التطرّف لم ياتِ كظاهرة طارئة على الواقع الاسلامي بل حتى على الواقع الانساني ، حيث ان التطرّف هو صناعة بشرية وجدت مع وجود الانسان ، والتاريخ الاسلامي يشهد على الكثير من مظاهر التطرّف في جميع حقبهِ .

والتطرّف ليس لهُ دخل بالأديان وتتجلى ابرز مظاهر التطرّف في الابتعاد عن الوسطية والاعتدال ولم يكن مفهوم التطرّف هو الفريد من نوعهِ بل هناك الكثير من المفاهيم المرادفة التي ارتبط بعضها مع البعض ارتباطا عضويا وكان وراء الكثير من احداث العنف تحولت الى جرائم على مدى التاريخ الاسلامي .

وقد شكلت التنظيمات الاسلامية المتطرفة المعاصرة ، واحدا من اكبر الصور على التطرّف الممنهج والمنظم .

وفضلا عن ذلك ان مشكلة حمل النصوص الشرعية لعدة اوجه مكنت قارئيها ان يفهموها وفق الحالة النفسية الخاصة بهم ، ولذلك فليس من الصحيح اعتبار هذه التنظيمات قيامها من دون ركيزة ايديولوجية يرتكزون عليها ، فهم يرجعون الى القران الكريم والسنة الشريفة كما يفعل جميع المسلمين ، ولكن نقطة الخلاف معهم في فهمهم المغاير لفهم مجمل التيارات والذاهب الاسلامية للنصوص الشرعية .

لقد تم توظيف الكثير من الآيات القرآنية والروايات الشريفة للحكم على الكثير من المسلمين بالكفر والخروج من الاسلام تحت ذريعة الارتداد تارةً حسب فهمهم للارتداد وتارةً اخرى تكفير لاقتراف ذنب معين ، كما فعلت الخوارج حينما كفرت مرتكب الكبيرة وهكذا تعددت صور التكفير لدى التنظيمات المتطرفة حتى وصلت الى تكفير المجتمعات بأكملها.

وان التطرّف والتعصب ظاهرة مُقيتة ومرفوضة وغير مبررة وفق كل المقاييس والمعايير الدولية والاجتماعية والاخلاقية والانسانية لأنها تجلب للأمم الخراب والدمار والكوارث والماسي .

وفضلا عن ذلك ان العراق مهد الحضارات الذي احتضن المدارس الفكرية والفقهية الاسلامية ، ولا يمكن ان يعطي فكرا متطرفا منحرفا ، لا لابد من العمل على لم الشمل والتسامح وتوحيد الصفوف .

ولابد من التفريق بين جهلة الناس والخارجين عن القانون الذين اندفعوا من اجل منافع سياسية لتحقيق اغراضهم الدنيوية .

الاحالات

١. سورة البقرة ، اية ١٤٣.

٢. الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، م٦، ص١٧٧.

٣. الهاشمي ، هشام ، التطرّف اسبابهُ وعلاجهُ ، الطبعة الاولى ،العراق ، بغداد ، ٢٠١٦، ص١١.

٤. م ، ن .

٥. م ، ن.

٦. م ، ن ، ص١٢.
٧. م ، ن .
٨. جاد الحق ، علي جاد الحق ، التطرف الديني وابعادهُ (امنيا وسياسيا واجتماعيا) ، القاهرة ، ص١٩.
٩. ابن زكريا ، ابو الحسن احمد بن فارس ، معجم مقايس اللغة ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، ط١، بيروت ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م، مادة "وسط" ج٦، ص١٠٨.
١٠. ابن منظور ،ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ، م٩، ص١٣٢.
١١. احمد بن علي (ت٨٥٢هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ج١٣، ص٢٧٨.
١٢. موقع اللويحق ، عبد الرحمن بن معلا ، تعريف الغلو ونشاتهِ وملامحهِ ، بتاريخ ١٧/ ٣ / ٢٠١٦، ص٢.١.
١٣. م ن .
١٤. سورة النساء ، اية ١٧١. ، سورة المائدة ، اية ٧٧.
١٥. الطبري ، محمد بن جريربن يزيد (ت٣١٠هـ) ، تفسير الطبري من كتابهِ جامع البيان عن تاويل اي القران ، نشر مؤسسة الرسالة ، ج٢، ص٤٨.
١٦. سورة البقرة ، اية ١٤٣.
١٧. الملل والنحل ، بيروت ، ج١، ص١١٤.
١٨. م ، ن .
١٩. مصطفى ، ابراهيم واخرون ، المعجم الاوسط ، ط٤، القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤، ج٣، ص٢٥٨.
٢٠. ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩، ج٤، ص٣١٣٢.
٢١. الفيومي ، احمد محمد بن علي ، المصباح المنير ، تحقيق ، عبد العظيم شناوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص٤٣٢.
٢٢. ابن شرف الثوري ، محي الدين ابي زكريا ، شرح صحيح مسلم ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٨، ج١٥، ص٣٨٣.
٢٣. طه ، فرح عبد القادر ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، دار سعادة الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣، ص٥٥.
٢٤. ابو الفضل محمد بن مكرم مظفر ، لسان العرب ، ص١٢٣٧.
٢٥. الكيالي ، عبد الوهاب واخرون ، الموسوعة السياسية ، ج١، ص١٥٣.
٢٦. سورة الانفال ، اية ٦٠.

٢٧. اوليفييه روا ، الجهاد والموت ، ترجمة ، صالح الاشمر ، دار الساقي ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٧، ص١٠٥.
٢٨. دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى اللغة العربية ، محمد ثابت الفندي ، واحمد الشناوي ، وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، م٨، ص٤٦٩. ٤٧٦.
٢٩. البخاري ، اسماعيل ابو عبدالله الجعفي ، صحيح البخاري ، تحقيق ، محمد زهير بن ناصر ، دمشق ، ١٤٢٢هـ ، ص٢٠٠.
٣٠. الملل والنحل ، ج١، ص١١٣.
٣١. م ، ن ، ص٤٧٠.
٣٢. ابن تيمية ، شرح الايمان الاوسط ، باب (بيان اصل الخوارج) ، ج١١، ص٥.
٣٣. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦، ص١٧٢.
٣٤. البغدادي ، الفرق بين الفِرق ، ص٢٧٣ ، اسماعيل ، انس عصام ، الغلو والتكفير في التراث الاسلامي ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد (٣٨) ، ايلول ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، ص١٣.
٣٥. ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت٤٥٦هـ) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج٢، ص١١٣.
٣٦. المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣، ص١٤٥.
٣٧. عبد الرزاق ، محمود اسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن ، الدار البيضاء ، ص٢٥.
٣٨. شناوه ، حيدر مطشر ، الفكر السياسي للتنظيمات السياسية الدينية المتطرفة . تنظيم الدولة الاسلامية انموذجا، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ص٢٠.
٣٩. الموسوعة الفقهية ، ط١، ١٩٩٥، الكويت ، ج٣٥، ص١٤.
٤٠. الهاشمي ، هشام ، التطرّف اسبابهِ وعلاجهِ ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٦ ، ص٤٧.
٤١. م ، ن ، ص٥٥.
٤٢. م ، ن ، ص٥٨ . ٦٠.
٤٣. م ، ن ، ص٥٣. ٥٤.
٤٤. م ، ن ، ص٥٥.
٤٥. اوليفييه روا ، الجهاد والموت ، ترجمة ، صالح الاشمر ، دار الساقي ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٧، ص٤٥.
٤٦. الساعدي ، فاضل شاكر، تربية السلام ، بحث ضمن بحوث ، اعادة التاهيل النفسي لاطفال الموصل برنامج تدريب اكاديمي ، مركز البحوث النفسية ، هيئة البحث والتبادل الدولية ايركس، ٢٠١٨، ص١١٣.

٤٧. الهاشمي ، هشام ، التطرف اسبابه وعلاجه ، دار مكتبة عدنان ، ٢٠١٦، ص الزبيدي ، ياسين ، الفتنة الطائفية ايام الخوف العراقية ، ص١٩٤٢ ، .

٤٨. م ، ن ، ص٤٣.

٤٩. م ، ن .

٥٠. م ، ن ، ص٤٥.

٥١. الساعدي ، فاضل شاكر ، تربية السلام ، ص١١٤.

٥٢. اوليفييه روا ، الجهاد والموت ، ص٤٣.

٥٣. الهاشمي ، هشام ، التطرّف اسبابه وعلاجه ، ص٦٥.

٥٤. شناوه ، حيدر مطشر ، الفكر السياسي للتنظيمات السياسية الدينية المتطرفة . تنظيم الدولة الاسلامية انموذجا، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ص٨.

٥٥. سورة المائدة ، اية ٣٣.

٥٦. محمد بن ادريس ، كتاب الام ، تحقيق ، رفعت فوزي عبد المطلب ، ط١، المنصورة . مصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١، ج١ ، ص٢٩٣.

٥٧. شناوه ، حيدر مطشر ، الفكر السياسي للتنظيمات السياسية الدينية المتطرفة . تنظيم الدولة الاسلامية انموذجا ، ص٧٠.

٥٨. نسيرة ، هاني ، تنظيم القاعدة في العراق ، ص١٤٥٨.

٥٩. م ، ن .

٦٠. شناوه ، حيدر مطشر ، الفكر السياسي للتنظيمات السياسية الدينية المتطرفة . تنظيم الدولة الاسلامية انموذجا ، ص١٣٠.

٦١. م ، ن ، ص١٣٣.

٦٢. م ، ن ، ص١٣٤.

٦٣. محمد علوش ، ص١١٥.

٦٤. الهاشمي ، هشام ، عالم داعش ، ص١٧٠.١٧١.

٦٥. الهاشمي ، هشام ، التطرّف اسبابهِ وعلاجهِ ، ص٦٦.

٦٦. م ، ن ، ص٦٧.

٦٧. الساعدي ، فاضل شاكر ، تربية السلام ، اعادة التاهيل النفسي لاطفال الموصل برنامج تدريب اكاديمي ، ص١١٦.

٦٨. الهاشمي ، هشام ، التطرّف اسبابه وعلاجه ، ص٦١. ٦٥.

٦٩. م ، ن ، ص١١١.